Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العيون

لأعذبنّ العين :

قال الشاعر[1] ابن الصّفدى يصف العيون :

هى التى توقعُ القلب فى التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمِّ والنَّصب ، وترميه بدواعى الهوان ودواهى الهوَى ، وتسلمه إلى مكابدة الغرام ومكابدة الجوى ، لو عُذِّبتُ بطُول السَّهَرِ وكثرةِ الدُّموع وبفيض الشئون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة النجوم إلى السَّحَرِ ، وبعدم الإغفاء وطول السَّهَر ـ لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن طما ، وعدمَ منَال المنام وإن نمَا:

لأعَذِّبَنَّ العَيْنَ غَيْرَ مُفَكِّرٍ ... فيما جرتْ بالدَّمْعِ أو سَالَتْ دمَا
ولأهجُرنَّ من الرُّقادِ لذيذَهُ ... حتى يعودَ علَى الجفونِ محرّمَا
هى أوقعتْنى فى حبائِلِ فتنةٍ ... لو لَمْ تكُنْ نظرتْ لكنْتُ مُسَلَّمَا
سفكتْ دمِى فلأسفحنَّ دموعَها ... وهى التى بدأت وكانتْ أظْلَمَا

ولعلَّ موجب هذه الواعظة، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام متفرِّجاً وسارحاً ، وجائلًا بطرفى فى الرياض وسائحاً ، وصحبنى صديق لى فى المحبّة صادقٌ ، ورفيق لى فيما أرومُ موافقٌ ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حِذْقٍ وظرافةٍ ، يَنْصَبُ لخِدْمتى لا يملُّ ولا يسأم ، ويتعب فى مَرْضاتى لا يكلّ ولا يَنْدَمُ ، ويجتهدُ فى موافقتى لا يمنّ ولا ينمّ ، ويحسِنُ مرافقتى لا يُذَم ولا يَذمُّ ، قد اتخذته جُهَينة أخبارى ، وكنزًا لخزائن أَسْرارى ، لا أستطيع مفارقةَ وجْهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

بروحِىَ مَنْ لا أستطيعُ فِراقَه ... ومن هُوَ أوْفَى مِن أخى وشقيقِى
إذا غاب عنّى لم أزل متلفِّتاً ... أدورُ بعينى نحْوَ كُلِّ طَرِيقِ

***

(١) فى لوعة الشاكى ودمعة الباكى .